



الأسماء تتحول إلى أرقام



رحمة على قبر غريب

جزيرة جربة تستقبل سياح وغرقى بلا أحلام

مهاجرون يلفظهم المتوسط على السواحل التونسية والبحث عن مقابر لدفنهم

الأخذة في الاندماج، أصيب الجسد بحروق من الشمس، ومن البنزين الذي سكب من القارب. إنها المثوى الأخير لأحلام غارقة، أراد عثمان قول شيء، لكنه توقف، وأصبح يتلعثم فجأة، ثم استدار ولى ذاهبا.



بعض بلديات جنوب تونس تعلن عزمها عدم قبول الجثث بتعلة أن المقابر الموجودة لديها مخصصة للمسلمين فقط

حصلوا عليها من مجلس البلدية، ولكن هذا المكان يبدو أقرب إلى مكب للنفايات. هناك صوت صرير يصدر عن وقع أقدام صندل مامادو ورفيقه عثمان كوليبالي، البالغ من العمر 20 عاما، والذي نجا هو الآخر من الكارثة.

نهبوا إلى "مقبرة المجهولين" التي لا تبعد سوى بضعة كيلومترات عن مركز اللاجئين التابع للهلال الأحمر، وخلفه يرتفع ملعب كرة القدم الخاص بمدينة جرجيس، أما المدينة نفسها فتبعد كثيرا. لا يريد الشبان أن تكون لهما صلة هنا، لا بالأحياء ولا بالموتى.

هناك ثلاث صناديق تبرز من الرمال، وأكياس وزجاجات بلاستيكية لا حصر لها، تتخللها بعض أشجار الزيتون، هنا يتم تدفئة كل شيء تخلى الناس عنه. هناك إلى جانب سور صغير من الرمال لوحات من الكرتون المقوى ملقاة على الأرض، 18 مقبرة تم حفرها مؤخرا، بعمق مترين لكل منها، حتى لا تستطيع الكلاب نبش القبور والجثث.

وخلف هذه المقابر تلال بها المزيد من المقابر، وبعض قوالب الطوب المكسورة، أو قطع من الصخور، تستخدم كشواهد. تحاول الزهور الجافة منح هذه القبور بعضا من الكرامة.

ازدادت سكينه مامادو ورفيقه عثمان، أكثر من السكين التي حطت عليهما بالفعل، حيث يرقد هنا جزء من الناس الذين سعدوا معهم، قبل أسبوع، الزورق باتجاه أوروبا.

يطرد عثمان الذباب من على عضلة السمانة، حيث حط العشرات من الذباب على الجروح

ورغم تراجع العدد الإجمالي للاجئين، أصبحت رحلة عبور البحر تمثل خطورة أكبر بالنسبة للذين يقدمون عليها. وفقا لمنظمة الهجرة الدولية فإن 682 شخصا غرقوا هذا العام في البحر المتوسط، وهذه ليست سوى الأعداد الرسمية فقط، حسب الطبيب سليم. وبينما يتناقش الأوروبيون بشأن توزيع المهاجرين وتشديد الحدود الأوروبية، هناك خلاف بين البلديات في تونس، بشأن البلدية التي يتوجب عليها دفن الموتى.

أعلنت بلديات جنوب تونس، مطلع الأسبوع الجاري، عزمها عدم قبول الجثث، "حيث تقول بعض البلديات، إن المقابر الموجودة لديها مخصصة للمسلمين فقط"، حسب سليم، الذي يتفاوض مع البلديات بشأن مرارة هذه الجثث الثرى، وذلك لأن الهلال الأحمر هو الذي يدير أمر الموتى حاليا. ومن الذي يستطيع معرفة ما إذا كانت الجثة التي جرفتها الأمواج جثة مسلم؟

يظهر أحد الإغاثيين لدى الهلال الأحمر صورا لعمليات انتشال الجثث على جهازه المحمول، إنها صور أجسام منتفخة ووجوه مشوهة. هناك جثة مفقودة منها عدة أصابع، وأخرى ليس لها رأس ولا ساق. ليس الصوت الذي انجرف إلى هنا، على الشاطئ، موتا ساكنا أو سالما، إنه موت مقرز.

اشترى الهلال الأحمر، قبل شهرين، قطعة أرض خاصة به، جنوب بلدة جرجيس، لدفن هؤلاء الموتى بها. أما في الوقت الحالي، فهم يدفنون معظم الغرقى في قطعة أرض زراعية

عاما، للعمل لدى منظمة الهلال الأحمر، "من النادر أن تصل الجثث إلى جربة، عادة ما تجرف الجثث من هنا". نظر الطبيب التونسي من شرفة أحد المقاهي، إلى شاطئ البحر، حيث نصب الأسر مظلاتها، وجعلت من هذه المظلات قلاعا صغيرة، ولعب الأطفال بتماثيل من الجلد، مملوءة بالهواء.

وقال "ستجلب الرياح وتيار المياه الموتى إلى هنا". تقع بلدة جرجيس الصغيرة جنوب تونس، بين الحدود الليبية، حيث تسود الفوضى بسبب الحرب الأهلية، وجربة، حيث يستجم السائحون القادمون من كل أنحاء العالم، ويرقصون على موسيقى تكنو سيئة.

جربة هي الجزيرة التي ألقى إليها الأمواج بالملك أوديسوس، أثناء تيهه عبر البحر المتوسط. يفصل بين جربة واليابسة سد طوله نحو خمسة كيلومترات. هناك تزايد هذا العام في أعداد الموتى الذين يلقى البحر بهم إلى جربة، "فمنذ عودة الاشتباكات الشرسية في ليبيا، في أبريل الماضي، تزايدت أعداد الناس الذين يرحلون من ليبيا"، حسب الطبيب منجي سليم، والذي قال "كان من الممكن إنقاذ هؤلاء الـ 83 لو أنه كانت هناك قوارب إنقاذ في الطريق". وتتشط قوارب الهجرة على السواحل الجنوبية لحوض المتوسط بشكل أكبر في فترة الصيف برغم القيود التي فرضتها دول الاتحاد الأوروبي. ومنذ أن أغلقت إيطاليا، والكثير من الدول الأخرى، الطريق أمام العاملين في الإغاثية، لم يعد هناك تقريبا قارب نجاة يتجول قبالة السواحل الليبية.

يقتال المتوسط أحلام المهاجرين غير الشرعيين بين أواجه ثم يلفظ الأجساد بلا روح إلى السواحل لتبحث لها عن أرض تنام فيها بعيدا عن الأهل الذين سوف لن يقطعوا الأمل في عودة أولادهم، أحلام المهاجرين تموت وتتحوّل إلى جثث متحللة بعد رفض دول أوروبا قبول القادمين الجدد بل ترفض حتى إنقاذهم.

أخرون. بينما كان أحد المهاجرين الـ 86، يهيم على مدى ثلاثة أيام في البحر المتوسط، ماسكا لوجا خشبيا، ثم ينجو من غرق مؤكداً "على أي حال لن يتحدث عن مستقبله الرياضي"، حسبما يرى مامادو، مقطبا وجهه للمرة الأولى منذ ساعة، مضيفا "تحدث عن كل شيء ممكن، وتحاول اللقاء متيقظا، لأنك إن تركت اللوح مت". غاص الشاب البالغ من العمر 16 عاما، مرة أخرى في عالم أفكاره، ناظرا إلى الأرض، قارضا أصابعه المرتعشة، بشكل مضطرب.

ربما كان يفكر في ليونيل ميسي، الذي يتخذ منه مثلا أعلى في كرة القدم، وربما كان يفكر في ما عاشه الأسبوع الماضي. كان مامادو، نلسن الشاب القادم من مالي، يجلس في تمام الساعة الخامسة صباحا، هو و85 شابا آخرين، في زورق، على شاطئ مدينة زوارة الساحلية، مستعدين للانطلاق نحو أوروبا. يريد مامادو أن يصبح محترفا لكرة القدم.

انطلق القارب بعد سبع ساعات، وضربت الأمواج الزورق، مما تسبب في زعر بين الركاب، وانقلب المركب. كان مامادو يجلس على أرضية الزورق الذي غرز بلوح خشبي.. وقل ممسكا بهذا اللوح عندما سقط في المياه، ومعه ستة مستعدين للانطلاق نحو أوروبا.

عشر رجال الإغاثية على 16 متوفى، في جربة، تلك الجزيرة التي يفضلها السائحون في قضاء عطلة الصيف، والتي ستعاود السياحة فيها النشاط، أخيرا، في هذا الموسم الصيفي. يقول منجي سليم، الذي تطوع منذ 25

عامين 2018 و2019، تعاني من انقطاع دائم بعضها وصل إلى شهرين مثل منطقة ظهر الخربة في مدينة الحصن بمحافظة إربد. ووفقا للمقاييس العالمية بعد الأردن ثاني أفقر دول العالم بالتغذية المائية، وزاد عدد السكان وتضاعف عدة مرات بسبب موجات اللجوء المتكررة من

العطش هاجس يؤرق سكان شمال الأردن

تقف جميعها وراء تعالي الشكاوى بين المواطنين الذين بات معظمهم فاقدا للامل في حلها، فيدفع ثمن الاشتراك الشهري للمياه والصرف الصحي والكهرباء وفوق ذلك تكلفة تعويض المنزل بالمياه من تجارها.

وبلغت إلى أن معظم السدود الموجودة في شمال المملكة تستخدم لغايات الري والسقاية وأنها غير صالحة للشرب أو حتى للري بسبب التلوث غير الطبيعي الذي تعاني منه، مناشدا الجهات المختصة بمعالجتها واستخدامها بديلا عن مصادر التغذية المحدودة.

المنظمات العالمية حددت معدل الفقر المائي بألف متر مكعب للفرد فأقل، وفي الأردن تتراجع حصة الفرد من المياه سنويا إلى حوالي 100-120 مترا سنويا وفق أرقام رسمية لجميع الاستخدامات.

يقول الناطق الرسمي باسم وزارة المياه عمر سلامة، أن الأردن استطاع احتواء قضية مياه الشرب والاستخدامات العامة لها رغم التحديات الكبيرة التي يفرضها في المنطقة مقارنة مع الدول العظمى والتي تمتلك مصادر مياه وفيرة.

دور الاستحمام وبشروط متعددة من بينها السرعة وعدم الإسراف، بالإضافة إلى تأمين بقية المستلزمات التي تعتمد على وفرة المياه في المنزل.

وتسأل أم محمد عن انقطاع المياه وشحها في بيوت المستأمنين على المياه، وهل تنقطع من بيوتهم، مضيفة أن المياه في حال ضحها لا تملأ ربع الخزان أحيانا وهذا يعني أن لهم سيستمروا أسبوعا آخر.

انقطاع المياه ضاعف على الأردنيين تكلفة إحصارها حتى وصل سعر الأمتار الثمانية إلى ما يزيد عن 70 دولارا أميركيا

الباحث البيئي وعضو الفيدرالية الدولية للإعلاميين البيئيين أحمد الشريدة يشير إلى الإدارة المائية للدولة كسبب رئيس والتي وصفها بالضعيفة جدا، وأن هناك حلولاً لذلك ولا يعلم سبب إغفالها.

وبيّن أن التحديات التي يعاني منها الأردن من لجوء والاعتماد على مصادر محدودة في التغذية المائية، والمياه المشتركة مع الاحتلال الإسرائيلي، وضعف السدود ونظامها القديم جدا،

الثمانية إلى 50 ديناراً، ما يزيد عن 70 دولارا أميركيا.

أبو خالد من سكان محافظة جرش، أحد المتضررين من شح المياه وانقطاعها، يقول لوكالة الأنباء الأردنية (بترا)، إن هناك سوء تنظيم وتوزيع غير عادل للحصص المائية خلال الأسبوع الواحد، لافتا إلى أنه يحصل على المياه لمدة ساعة واحدة في الأسبوع وبكميات قليلة جدا لا تكفي حاجة المنزل خلال الأيام الخمسة اللاحقة، لكنه يؤكد مع ذلك أنه في حال حصل ذلك فعليا ما تغيب المياه عن منزله أسبوعين متتاليين.

وقال ماهر عازر من مدينة الحصن إن السكان هنا فقدوا الأمل في حل قضية المياه، وإن منطقة ظهر الخربة انقطعت عنها الخدمات المائية منذ حوالي سنتين، ليدفع سكان المنطقة ثمن تغطية حاجاتهم من المياه أسبوعيا بشراء صهاريج مياه بتكلفة عالية. ويستمر العطش والشكوى من أم محمد في قرية قديم بمحافظة إربد والتي تمتد أن تكون صاحبة قرار وتقديم الحل الدائم لتوصيل المياه إلى السكان، وتقول "إن أقل واجبات الحكومة أن توفر المياه باعتبار ذلك حقا للمواطنين الذين يطالبون به يوميا لكن للأسف دون جدوى". وتضيف "إن دور منزلها في المياه يصادف كل يوم أربعة من كل أسبوع وفور وصولها تبدأ حالة الطوارئ في المنزل، فيبدأ الغسيل المتراكم منذ أسبوع وتنظيف وتنظيم

دول الجوار، وانخفضت حصة الفرد من المياه إلى نحو 90 مترا مكعبا في العام بعد أن كانت أكثر من 3 آلاف متر في خمسينات القرن الماضي.

ويطالب المواطنون السلطات المحلية بتأمينهم بالمياه، فهي مطلب أساسي يومي، فانقطاعها ضاعف عليهم تكلفة إحصارها حتى وصل سعر الأمتار



شح الماء مع سوء توزيعه